ستتسم حياتنا الروحية بعدم الاتزان إذا وضعنا الابن في غير مكانه في المركز, فالابن بدونه لا توجد بنوة ولا وراثة, لذا يجب على كل مسيحي أن يعرف محور حياته الذي هو الابن. فحياتي الشخصية ليست هي الأهم, ولا كلمة الله موجودة لكي أعرف منها أشياء تخص مستقبلي وعملي وزواجي, بل لكي أكتشف الابن المركز. فيجب أن يكون الاهتمام الأكبر لأي شخص مولود ثانيةً هو الابن. ويجب أن يكون هذا أيضًا اهتمام الكنيسة, فلا تضع كل مجهودها للأفراد والأنشطة, بل يكون الابن هو مركز ومحور عملها.

القديسون القدامى لم يكن ما يشغل ذهنهم وقلبهم هو الخطة العظيمة التي وضعها الله لحياتهم, ولم يكن يشغلهم أن تتحول حياتهم إلى جحيم, كل ما كان يشغل ذهنهم هو المسيح المركز.

الابن يبقى المركز والأساس, فمحبة الله لنا نابعة من هذا المركز, ويجب إدراك أن محبة الله لكل من ينتسب للابن, هي محبة مختلفة جدًا عن محبته لأي شخص لا ينتسب للابن وهو فقط خليقة الله.

في هذا الجزء من المحاضرة سوف ندرس بعض الهرطقات الثالوثية, وواحدة منها هي "الأبولورانية" وهي منتسبة إلى الأسقف أبولوناريوس وهو أسقف منطقة بين سوريا ولبنان تسمى اللاذقية. وقد عَلم بأن للمسيح جسد بشري, لكن روحه وعقله ليسوا بشريين بالمرة, فطبيعة المسيح البشرية هي جسده, لكن عقله وروحه ذو طبيعة إلهية. وهذا الكلام غير صحيح, فإن المسيح لو كان إله غير كامل وإنسان غير كامل فسوف يؤثر هذا على الخلاص, فأي نقص في في الإنسان سينتج عنه منتج – خلاص – غير كامل.

ما فعله أبولوناريوس هو محاولة لتوفيق الإيمان المسيحي بالفلسفة اليونانية, ولم يكن معه سند كتابي, حيث أن في ذلك الوقت كانت الفلسفة اليونانية مزدهرة جدًا.

العديد من النصوص الكتابية تؤكد على أن الخلاص تم بفضل أن المسيح إنسان كامل, والله كامل. **وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ. (غل4: 4-5).**

الثالوث عند بعض اللاهوتيين .. إدوارد رانك لاهوتي ليبرالي ألماني, بالرغم من كونه ليبرالي اللاهوت إلا أن له آراء في الثالوث يجب دراستها سواء تم الاتفاق عليها أو لا, يقول رانك أن هناك تحول في الفكر المسيحي, فالآن هناك تشديد على الكريستولوجي – علم الكلام عن شخصية المسيح – الميتافيزيقي – ماوراء الطبيعة – فالكريستولوجي لم يكن الجزء الذي وعظ به المسيح, فبدلًا من التركيز على الخلاص والفداء, صار التركيز على معرفة ماهي طبيعة المسيح وجوهره والعلاقات الأزلية.

شدد رانك أن ما وعظ به المسيح لم يكن يحتوي الكثير على طبيعة المسيح وعلاقته بالآب. فالأناجيل تعلن الله الآب فقط, ومافعله لخلاصنا, أما الكلام عن المسيح فدائمًا يأتي بعد إعلان ما فعله الله لخلاصنا. وأن التركيز على كل ما هو ميتافيزيقي آتى من الثقافة التجردية الهيلينية.

ومن اللاهوتيون الآوائل القديس أغسطينوس, وقد عاش في فترة تتسم بانتشار الفلسفة الأفلاطونية الحديثة وهي ما تنادي أن الإنسان هو قمة خلق الله وأسمى شيء في ذلك هو العقل. وأن الله نستطيع أن نراه في عقل الإنسان, لذلك شدد أغسطينوس على أن الثالوث لابد البحث عنه في عقل الإنسان. لذا نجد في شرح أغسطينوس للثالوث, أن الآب هو العقل المدبر, والابن هو المعرفة,والروح القدس هو المحبة أو النعمة, ولا يمكن فصل المعرفة عن العقل, كذا لايمكن فصل الآب عن الابن. وقد تشجع أغسطينوس ووصف الابن بالمعرفة هو وصف العهد القديم في الكلام عن الحكمة, وأيضًا اللوجوس في الفلسفة اليونانية.

عبر أغسطينوس عن الثالوث أيضًا بأن الآب هو الذاكرة, والابن هو الفهم, والروح القدس هو الإرادة, وهذا تشبيه لاهوتي قوي, فالروح القدس هو من ينفذ إرادة الآب من خلال الابن, وهو أيضًا منفذ إرادة الآب في الإنسان, لذلك يقول أغسطينوس لله دائمًا مصليًا: نفذ يالله مطالبك فيّ. وهذا ما تكلم عنه بولس في (في2: 13) **13لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ.**

ركزت الأفلاطونية الحديثة على العقل وأهميته – وهذا ما بنيّ عليه أغسطينوس كلامه – وإن أسمى شيء هو العقل, إلا أن الكتاب المقدس لا يُعلمنا ذلك, فالعقل فاسد مثله مثل المشاعر وكل الإنسان, ولا يمكن الاعتماد عليه. وإلى يومنا هذا مازلنا نتبع أثار الأفلاطونية الحديثة, عندما نشدد على الأشخاص في الكنيسة أن يأخذوا الموضوع بعقولهم, وأن لا يعتمدوا على المشاعر بل على العقل, إلا أن كلمة الله تقول أن العقل والمشاعر فاسدين.

وفي العصر الحديث نجد لاهوتي آخر, هو كارل بارت, وهو سويسري الأصل ولكنه نمى في ألمانيا, وقد كتب في اللاهوت تحت مسمى عقائد الكنيسة وهم عبارة عن خمس مجلدات ضخام. وهو لاهوتي مشيخي الأصل, ولكنه أعتنق الإيمان الليبرالي لحين حدوث الحرب العالمية فرجع عنه, ومات في سنة 1968.

اهتم كارل بارت بكتابات الآباء, ولذلك نستطيع أن نجد تآيد لآراءه من كتبهم. أول ما تكلم تكلم عن الثالوث ضد الليبرالية, وقال أن عقيدة الثالوث هي عقيدة تفسيرية تفسر كل ما سيفعله الله بالعالم. فالآب هو من يُعلن, ويسوع هو هذا الإعلان, الروح القدس هو الإعلانية عن الابن. أي أن الهدف من عقيدة الثالوث أن يُعلن الآب عن الابن بالروح القدس. ولذلك لا يستطيع أي إنسان أن يرى إعلان الله عن نفسه إلا بالروح القدس, وهذا الإعلان هو الله الابن, المسيح.

ظل الآباء حتى سنة 381ميلاديًا في مجمع القسطنطينة, في حيرة وتردد في الكلام عن الروح القدس, وذلك بسبب أن شغل الآباء الشاغل قبل ذلك لم يكن شخص الروح القدس, بل كان حول طبيعة من هو المسيح وعلاقته بالآب. إلا أننا نجد غرغوريوس النيسي – واحد من الآباء الكبادوك – يتكلم ويثبت ألوهية الروح القدس, اعتمد غريغوريوس في حجته لاثبات صحة ما يقول أن الألقاب التي قيلت عن الله, هي نفسها ما قيلت عن الروح القدس, وبالأخص لقب قدوس.

روبرت جينسن لاهوتي لوثري معاصر من الذين تكلموا عن الثالوث, ويقول أن الاسم الحقيقي للإله الذي يعبده المسيحين, هو الآب والابن والروح القدس. وكلمة إله في العهد القديم في إسرائيل كانت لا تشير لإله بعينه, هل الإله يهوه, أم عشتاروث, أم غيره. وحتى في العهد الجديد كلمة إله هي كلمة مبهمة, هل تقصد إله اليونانيين أم إي إله, لذلك اختار الله لنفسه اسم الآب والابن والروح ليعلن عن نفسه.

حاول جينسن أن يبسط عقيدة الثالوث في وسط هذا الكم من الفلسفات, فكما الحال مع إله إسرائيل في العهد القديم الذي هو يهوه, كذلك الحال مع إله المسيحيين الذي هو الآب والابن والروح. ويفسر لنا هذا الكم من الفلسفات في الكلام عن الثالوث, أنه بسبب الرد على الفلسفات المعادية للإيمان المسيحي, أضطر المدافعين أن يردوا بالفلسفة أيضًا. والحل هو الرجوع إلى الأناجيل والرسائل لكي نرى الثالوث بدون أي تعقيد.

ومن الآباء نجد ديدموس الضرير 398 ميلاديًا, تكلم عن دور الروح القدس في الفداء, والتجديد, والتجديد, والخلق. وأن ألوهية الروح القدس تظهر وتتجلى في رؤيا يوحنا, حيث نجد الآب, والابن الحمل, وسبع أرواح الله.

وأيضًا نجد باسيليوس الكبادوكي في اثباته عن ألوهية الروح القدس, استخدم (مت28) عندما قال الرب أن المعمودية على اسم الآب والابن والروح القدس. ووجود الروح القدس بعد الآب والابن, يدل على مساواته لهم.

لقد آجمع الآباء أن للروح القدس أدوار, فهو من ينير أذهاننا لكي نقبل الإعلان الإلهي عن الابن, وله دور هام في يقينية الخلاص فهو من يشهد بأننا مخلصون لأرواحنا, وهو أيضًا من يمكننا لكي نعيش الحياة المسيحية المطلوبة.

دور آخر من أدوار الروح القدس التي شدد عليها شخص مثل مارتن لوثر, هو تمكين المؤمن من طاعة الناموس, **إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ. لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزاً عَنْهُ فِي مَا كَانَ ضَعِيفاً بِالْجَسَدِ فَاللَّهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. (رو8: 1-4).** فلوثر علم أن المؤمن مهما حاول لن يستطيع أن يرضي الله بالجسد. فالحل هو أن يفعل الله فينا ذلك بروحه القدوس.

وبخصوص مواهب الروح القدس, فللمواهب دائمًا هدف, ألا وهو نمو الكنيسة والشهادة عن الإنجيل. ولابد ألا تسبب مواهب الروح القدس انقسامات وانشقاقات في جسد المسيح, أو الكنيسة المحلية.

بانتهاء مادة ثالوث واحد, قد درسنا عن أن الله هو إله حي, متفاعل, لذا يجب أن نصلي ونطلب معونة الله, أن يحرك كل سكون روحي فينا لمجد اسمه.